سيقول المحرفون ان في هذا القول منا لحرية الانتقاد ، وابطالا لفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كلا . ثم كلا . ليس هذا من المنع لما ذكر وانما هو عين الانتقاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهكذا فليكن الانتقاد والامر والنهي ، : بيان لبطلان الباطل وطلبة الحق من غير تهيج للعصبية ، ولا إغراء بالاصرار على الخطية ، الا وليحاسب انفسهم المغرورون الذين يدعون القيام بهذه الفريضة ، ثم يخذلون العاملين بالسعاية والغيبة ، ولا يوجهون اليهم الانتقاد فيما بينهم وبينهم ، ياعجبا لماذا يسكتون عن كثير من المنكرات المجمع عليها ، ويثورون بتحمل الانكار في المسائل المجتهد فيها ، الا إن المفاسد المكابر لا علاج له ، يبدأ به حسده فيقتله ، الا وان فيما قلناه مقنعا للمخلصين ، وذكرى تنفع المؤمنين .

* * *

نابتة المدارس والمكاتب (*)

أناخ الصيف بكلكله ، وضرب الحر بجرانه ، فانشأت المدارس والمكاتب توصد أبوابها ، وتثور على البلاد أزاهر طلابها ، وتهدي اليهم جنى جناتها ، فمن طلابها من يغادرها موقتا لزيارة الوطن ، وصلة الرحم ، ويعود اليها جم النشاط ، وافر الاغتباط ، ليتم المدة ، ويكمل العدة ، ومنهم من يودعها الوداع الاخير ، بقلب الحفيظ ولسان الشكور ، وهم المتخرجون الذين تم فصالهم ، وبلغوا في هذه المعاهد رشدهم ، وآن لهم ان يخدموا الملة والامة بالاستقلال ويطالبوا بالثبات في خدمتهم درجة الكمال ،

يرى الكثيرون من الناس ان الطالب الذي يغادر معهد العلم لاجل صلة الاهل ومودة القربى لا يطلب منه في مدة العطلة الا الراحة من نصب الدرس ، وترويض الجسم وترويح النفس ، بما يباح له من اللعب واللهو ، وان المتخرج قد استراح

(*) المدارس في عرف الاستانة معاهد العلم الديني القديمة وان قرئ فيها غيره والمكاتب معاهد العلم النظامية العصرية ، وكتبنا هذه المقالة في الاستانة فالكلام فيها موجه الى العثمانيين أولا وبالذات فيها ما هو خاص بهم واكثر نصائحها عامة . وما نقرره هنا اصبح مما تقر به جريدة الحضارة وفيه زيادة

من عهد التحصيل والتعلم ، ودخل في طور الاستقلال والتعلم ، فما عليه الا ان يهتم بجمع المال ، والتمتع بما يقدر عليه من الحلال ، ومنهم من لا يرى قيد الحلال ضروريا ولكنه ربما يشترط المحافظة على عرف الكبراء ، وعادات الاغنياء ، فما عرفوه من المنكرات كان عنده معروفا ، وما انكروه من الفضائل والخيرات كان عنده منكرا ،

لهذا كانت سيرة الكثيرين من طلاب العلوم والفنون سيئة في اعتقاد الامة ، وصورتهم المعنوية مشوهة في نظرها العقلي ، فهي تتهم نائبة العلوم الدنيوية بتهمة ، ونائبة العلوم الدينية بتهمة أخرى ، وقد يكون لكل من الفريقين انصار من الاهل والاصدقاء ، واصحاب الحاجات والخلطاء ، يمنون بهم ، ويقنعون من الجاه بتعصبهم ، فينصر أحدهم الآخر ظالما كان أو مظلوما ، ويؤيده لاثما وملبا ، فيسري بذلك دود الفساد في جسم الامة حتى تكون من الهلكى ، ويتعارض الجاه بين رجال الدين ورجال الدنيا ، فيتصادم حزباهما ، ويقع الشقاق بينهما

أيها النابتة الجديدة ! قد آن لهذا التباين ان يزول ، قد آن للمتعلمين ان يتجردوا من الاهواء والحظوظ ، قد آن لهم ان يعلموا ان للعلم فائدة فوق فائدة الحرفة ، وثمرة اشرف من ثمرة الكسب والتجارة ، قد آن لهم أن يعلموا ان المدرس والحاكم ، (عامل الحكومة) والطبيب والمهندس ، ووكيل الدعوى ، ومحرر الجريدة منكم اذا لم يكن لهم غرض من علمهم الا الكسب الذي يعيشون به فلا فرق بينهم وبين الصائغ والحائك والحداد والنجار والحمال كل اولئك يعملون مالا بد للامة منه لاجل أن يعيشوا بثمرة علمهم ،

تذكروا ان لكم وراء الكسب بعلمكم وعملكم عملا تقدرون عليه ولا يقدر عليه غيركم ، ومقاما عاليا يسهل عليكم العروج اليه دون سواكم ، تذكروا انكم انتم المطالبون باخراج أمتكم من ظلمات الجهل الى نور العلم ، ورفعها من حضيض الفساد الى اوج الرشاد ، وانقاذها من مضيق الفقر والفاقة ، الى بحبوحة الغنى والثروة ، انتم المطالبون بذلك بمعرفتكم قيمة انفسكم ، وبحسن سيرتكم في خاصة انفسكم ، وبتعارفكم وتآلفكم وتعاونكم فيما بينكم ، وبهدايتكم وارشادكم لغيركم ، وعلى كل من الواحلين الى البلاد منكم واجبات ، أذكركم بها بهذه الكلمات :

ينبغي ان يوطن كل واحد منكم نفسه على خدمة الامة ورفع شأنها وان يراها

اهلا لذلك بما منحها الله من القوى اذا هو شكر الله عليها باستعمالها في ذلك، فمن يوطن نفسه على ذلك ويعملها على الاستعداد له تسمو همته، وتعظم مروءته، وتتعلق آماله بمعالي الامور ويتنزه عن سفسافها، ومن لم يرج من نفسه الاصلاح كان جديرا بان لا يرجوه غيره منه، وان لا يكون مصلحا بعلمه ولا عمله، ومن لم يكرم نفسه لا يكرم

يشتبه على بعض الناس تكريم النفس وحملها على معالي الامور بالعجب والغرور، والفرق بينهما كالفرق بين الظلمات والنور، والذل والخمود، فالاول يكون على الاخلاق حسن الاعمال مع التواضع والنزاهة والبراءة من التبجح والدعوى فهو قدوة حسنة في اخلاقه وآدابه واعماله، وأما الثاني فهو يدعي ما ليس فيه، ولا تهمه الاحتفاظ نفسه، ويحب ان يحمد بما لا يفعل، ويحقر العاملين، ويفسد الخلق، فيكون قدوة سيئة في اخلاقه واقواله وافعاله

ان المعجب المغرور يرى نفسه في مرآته جميلا ولكنه في مرآة غيره دميم مشوه فهو لا يفتش ولا يخدع الا نفسه الخبيثة، واما عالي الهمة وكبير النفس فانه يراها دائما مقصرة لانه لا يعمل عملا الا وهو يرى ان الواجب عليه والمستطاع له اكثر منه واكمل، ولا يحجبه عن اعتقاده هذا حمد الحامدين له، ولا ثناء الراضين عن عمله، المعجبين بعلمه وأدبه، فاذا فطنتم أيها الاخوة لهذا الفرق فاجعلوه ميزانا لكم في محاسبة انفسكم لئلا تكونوا حسانا في مرآة انفسكم قباحا في مرآة غيركم.

ان من الناس من يكون استعداده لمعالي الامور والقيام بالمصالح العامة قويا ومنهم من يكون استعداده لذلك ضعيفا، منهم من تحرك هذه الذكرى همته للعمل الذي يقوي الاستعداد، ومنهم من لا يقيم لها وزنا، ولا يفهم لها معنى، فمن رأى انها هدته الى اكثر ما كان يعرفه، أو زادته شوقا الى شيء كان يحن اليه ويألفه، فليحمد الله تعالى وليبشر بأن سيكون من ترتقي بهم أمتهم، وتعتز بهم دولتهم، وتعمر بهم بلادهم، ومن رأى انها من لغو القول، أو من قبيل تكليف المشي على الماء، أو الترويح الى السماء، فليعلم انه خلق ليكون اجيرا يعمل ليأكل فلا يفتش نفسه بدعوى ما لم يخلق له

ألا وان العمل يقوي الاستعداد الضعيف فقوموا وضعتم هذا الغرض الشريف

(ترقية الامة) نصب اعينكم ووطنتم انفسكم على السعي له في طريقه والدخول عليه من بابه ، فانكم في كل يوم تزدادون فضيلة وهمة واقداما

ألا وان التخلية مقدمة على التحلية فينبغي ان تطالبوا أنفسكم بان يراكم قومكم في منصرفكم هذا اليوم خيرا مما فارقوكم عليه خلقا وادبا ورأيا وعملا وقولا ، يجب ان لا يروا منكم ما ينكرون ، وأن لا يسمعوا منكم مايكرهون ، يجب ان يروا منكم النبل والنزاهة والتقوى والصدق والغيرة والحماسة والقوة ، يجب ان لا تدعوا لهم مجالا للشك في دينكم ولا في اخلاصكم لامتكم ودولتكم ، فان ارتفعت همتكم الى ذلك فابشروا فان فوزكم فيما تريدون من ايقاظ الامة وعزة الدولة سيكون قريبا

لاتظنوا ان من كان فاقدا لشيء من تلك الفضائل ، او مبتلى بشيء من المعايب ، وتكلف اخفاء عيبه ، واظهار فضيلة ليست خلقا له ، يعد مرائيا منافقا ، فان الرياء والنفاق هو ان يصر المرء على عيبه ويرضى بالبقاء عليه ويحاول أن يوصف بضده ، او ان يعمل العمل امام الناس ليقولوا فلان عمل وهو لا يرغب في ذلك العمل ولا في ان يكون من أهله ، ولست في هذا ارغبكم بالرياء وانما ارغبكم في التكلف ، الذي هو طريق التخلق ، فالحلم بالتحلم ، كما ان العلم بالتعلم ، والترك داعية النسيان والهجر وسيلة السلوان ، على ان من يتكلف الخير رياء ، اقرب الى الخير والكمال ممن يعمل السوء جهارا ، وقد قالوا الرياء قنطرة الاخلاص

اراني أطلت عليكم في مسألة واحدة ما كنت اريد الاطالة فيها ، كيلا يفوتني القصد فيما ينبغي عليها ، وهو ما ينبغي ان تحثوا الناس عليه ، وترغبوهم فيه ، واني اذكر منه مايخطر ببالي من المهمات

اول ما تعنون به الترغيب في العلم في المكاتب والمدارس الرسمية والدينية الاهلية على حسب الرغبة والميل وتيسر الاسباب

لاحديث كحديث العلم والتعليم يجب التوسع فيه ، والتبسط في ارجائه ومناحيه ، فبينوا للامة فوائد التعليم الاهلي الوطني واقنعوهم بان ترقي الامة لا يكون الا به ، ورغبوهم ايضا في مكاتب الحكومة ، وبينوا لهم كيف يتوقف ترقي الدولة على نابغي

المتخرجين في مكاتبها الملكية والعسكرية والعلمية والقضائية وكيف تتزاحم العناصر العثمانية فيها لان هذا العصر هو عصر المباراة بين العناصر

من فروع احاديث العلم او اصوله مسألة اللغة فبينوا للامة وجه الحاجة الى اتقانها لغتها ، وجعلوها هي القطب لترقيها في نفسها و بينوا لها وجه توقف ترقية الدولة على اتقان لغتيها : لغتها الرسمية المنسوبة الى مؤسسها وهي العثمانية ، ولغتها الدينية من حيث هي اكبر دول الاسلام وهي العربية التي تستمد منها الدولة علوم الدين والادب والقضاء

وبحسن الانتقال من الترغيب في التعليم العسكري الى الترغيب في الجندية نفسها ، حببوا هذه الخدمة الجليلة للامة ، بينوا لها الفرق العظيم بين الجندي البائس الحقير الجائع العاري الحافي في زمن عبد الحميد ، و بين الجندي العزيز الكريم الشبعان الكاسي الذي خصص له في ميزانية الحكومة الدستورية اكثر من اربعة آلاف قرش في السنة ليبين كل من العرب والارنؤود لأهل بلادهم انه لا يليق بهم أن يكونوا أشد العناصر تقصيرا في هذه الخدمة الشريفة من حيث هم اجدر العناصر بالسبق اليها والتبريز فيها لما هم عليه من الشجاعة والحمية والاقدام

اخبروا أهل كل مدينة وكل قرية وكل حلة وكل دار تحلون فيها عن همة ابناء وطننا الارمن أنهم يرغبون جميع اولادهم في جميع مكاتبهم ومداوسهم على التعليم العسكري بلغتهم فيكون جميع افراد هذا الجيل الجديد من الارمن جنودا سواء منهم الغني والفقير والرفيع والوضيع ، يقولون من دخل من أبنائنا في جندية الدولة كان متعلما متمرنا لا يلقى تحكما ولا اهانة بل يكون سابقا مقدما سريع الترقي ومن لم يدخل منهم لا يضره هذا التعليم الذي يروض بدنه ويعلي همته ويزيد نشاطه وقد يفيد في يوم ما ، فاذا رضي بعض قومكم بأن لا يكون للتعليم الاهلي عين في بلادهم ، ولا أثر بعد العلم بأن التعليم عام في الارمن شامل لجميع ذكرانهم و إناثهم ، فهل يرضون ايضا ان يسبقوهم في ميدان الشجاعة والاقدام ، كما سبقوهم في حلبة العلم والعرفان ، ان كانت قد مرضت عقولهم ولقست نفوسهم حتى رضوا بالاولى فهل خمدت حميتهم وقضاءات شجاعتهم فيرضوا بالاخرى ؟ ؟ هذا ما لا يعترفون به ابدا بل لا يعترفون بالاولى أيضا وانما يعتذرون عنها فطالبوهم بازالة العذر بالقول والعمل .

من هذا الباب ادخلوا على قلوبهم ، من هذه النافذة أشرفوا على خفايا الغيرة من زوايا سرائرهم ، بهذا الاسلوب من القول حركوا سواكن النجدة والحمية من نفوسهم ، ثم أقنعوهم بأن الاحصاء الدقيق لنفوسهم هو الوسيلة الاولى من وسائل الخدمة العسكرية الشريفة ، وان للاحصاء فوائد اخرى اهمها تكثير عدد المبوئين

على ذكر المبوئين أقول اني اعلم انه لابد لكم من التعرض في أمر المبوئين وأعلم ان كثيرا منكم يتلون او يغرقون في تقدمهم فأوصيكم في هذا المقام بثلاث (١) ان يكون جل كلامكم في ذلك علميا كيان معنى الحكومة النيابية ، وما ينبغي ان يكون عليه النواب (المبوئون) من العلم بالمصالح العامة ومن الصفات والاخلاق كاستقلال الرأي والاخلاص والشجاعة وحسن البيان وقوة المعارضة وما يترتب على ذلك من ترقية الامة وعمران بلادها ومن اصلاح حال الدولة ورفعة شأنها فالبحث في هذا هو الذي يعد الامة الى حسن الاختيار في الانتخاب الآتي (٢) ان تذكروا المحسن من المبوئين باحسانه والمقام بهمته لتعرف الامة قدره وتكرمه فيكون الشكر مدعاة المزيد من حسن خدمته والارتقاء فيها ، وما وجب شكر المحسن في الشرع وحسن في نظر العقل الا ليكون مدعاة المزيد من الاحسان ، وليكون ذلك رافعا همة المستعد الخامل وشجاعة الجبان المتواكل ، — (٣) ان تنزهوا عن الطعن في الضعفاء العاجزين والذين رضوا أن يكونوا من غيرهم كقدح الراكب ، او مسدى الناعب ، وحسبكم ان تكونوا ادباء نزهاء غير غاشين ولا حاقدين ، وان تتحاموا بذلك اخراج الاضغان ، وتأريث العداوة والبغضاء ، انظروا الى المحسن وكبروه واعلوا شأنه وغضوا ابصاركم عن القبيح وادفنوه بالاعراض عنه والاهمال له

ما وصلت الى هذا الرجاء من ارجاء القول الا ورأيتني امام ميدان واسع لم يأذن لي ما بقي من المقال بالايجاف والايضاع فيه ، ورأيتني امام مسألة مقاومة الجامدين والناقلين من الامة لاصلاح المصلحين وتغيير العامة عنهم ليحبط عملهم أو يبطئ نموه فتأخر ثمراته ، هذا مرض من اعضل امراض هذه الامة قد قوى في هذا العصر باختلاف طرق التربية واساليب التعليم وقد اشرنا الى هذا في أوائل المقال فعليكم أيها الشبان العقلاء ان تتبعوا في علاجه طريق التحصيل المنطقية في تمييز

الضروب المنتجة من الضروب العقيمة دون طريق الاسقاط ، عليكم ان تعظموا شأن الاصلاح والمصلحين ولا تذكروا خصومهم بسوء ، عليكم بيان الحق للامة فتى بان وظهر زهق الباطل وان لم تعاد بوا أهله جبارا ، عليكم ان تكبروا قيمة حرية الفكر واستقلال الرأي ، وان تدعوا المخالفين الى المناظرة الادبية بالكتاب ، دون السعاية والاغتياب ، والتنابز بالالقاب ، فمن اعرض عن ذلك ظهر عجزه ، وبطل كيده وسحره ، « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين »

لاترضوا بالترفع عما يزيد الشقاق في الامة بل وجهوا عنايتكم للتأليف بين العناصر المختلفة ، والاديان والمذاهب المتعددة ، اجمعوا ولا تفرقوا ، بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تعسروا ، ان يد الله على الجماعة ، وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، بذلك يقوى استعداد الامة للاصلاح القريب ، والعاقبة للمتقين

عليكم أن تحثوا الامة على النشاط في الكسب ، رغبوها في ترقية الزراعة وفي الاستعانة على ذلك بتعلم طرقها الحديثة في مدارس الحكومة ، رغبوها في إحياء الصناعة الوطنية والاستزادة منها باستعمال المصنوعات الوطنية ورغبوا الاغنياء والحكام في استعمالها فان هذه هي الطريقة المثلى لرواجها ، رغبوا اهل الوطن في الاشتراك المالي في الزراعة والصناعة والتجارة فان هذا أقرب طرق الالفة والاتحاد

وأخص طلاب العلوم الدينية بأن يترفعوا عن الظهور بمظهر الفاقة ، أو يرضوا لانفسهم بشيء من المهانة ، أذكرهم بأنهم أجدر الناس بعزة النفس وكرامتها ، والزهد فيما في أيديهم من حطامها ، فعليهم ان يكونوا قدوة في أخلاقهم وفضائلهم ، تقبل اقوالهم في الحث على الفضيلة والتقوى ، علموا الناس السنة ، نفروهم من البدعة ، فكل حديث في الدين بدعة سيئة ، واما الابتداع في أمور الدنيا فتعتريه الاحكام الخمسة ، ابنوا عقائدكم دائما على آيات القرآن ، وامزجوه بالاحاديث الصحيحة مع عزوها الى مخرجيها ، قاوموا دجل الدجالين ، واجمعوا بين مصالح الدنيا وحكمة الدين ، « ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لايحب المفسدين »